" الملامح التربوية لأخلاقيات الحرب في السيـرة النبوية المعـاهدة، والمنـابذة، ومعاملة الأسرى أنموذجا (دراسة تربوية تأصيلية)"

د / عمر بن حسن إبراهيم الراشدي

- **المقدمة** :

الثبات في تعامل النبي . صلى الله عليه وسلم ـ مع أعدائه وأتباعه ، في حالة الحرب والسلم هو المعيار الخلقي الذي يقف التأريخ مقرا له بكمال الأخلاق وسمو الهدف من الحرب ، لذا سطرت كتب السيرة النبوية أروع الأخلاق وأنبلها من خلال ممارسات عملية واقعية ، لو لم تنقل برواية العدول الثقات وبأعظم منهجية علمية عرفها التأريخ في الدراية والرواية ، لظنها الإنسان ضربا من الخيال ، لاسيما وهو يرى الانحطاط الخلقي في الحروب المعاصرة التي لم تراع حرمة الإنسان ، ولا الحيوان ، ولا البيئة ، حتى أصبح من المألوف في الحروب المعاصرة أنها إذا وقعت وقع معها الفساد في البر والبحر.

ولذا أراد الباحث من خلال هذا البحث أن يلفت الانتباه ويشير إلى عظم تربيتنا الإسلامية التي حرصت على إتمام مكارم الأخلاق ، وتهذيب السلوك الإنساني ، ليس فقط في حال السلم ، ولكن في وقت ضراوة الحرب وشراستها يجب أن يكون المسلم متميزا في خلقه وتربيته ، فهو مطالب بأمور تعد رسالته الأساسية التي معني بإيصالها إلى الآخرين ، ولذا فتح الله لهم قلوب العالم قبل بلدانهم ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، لما رأوا من تطبيق لهذه الأخلاقيات التي لم يعرف التأريخ لها مثيلا .

واليوم العالم بحاجة إلى نشر هذه الأخلاقيات وإيصالها لأسماعهم ، في ظل أزمة القيم والأخلاق التي يعيشها عالمنا المعاصر ، ولذا يمكن الإشارة من خلال هذه النماذج إلى ملامح تربوية لأخلاقيات الحرب في السيرة النبوية ، والتي هي المرجعية والأصل الذي نستند إليه بعد القرآن الكريم في مصادر تربيتنا الإسلامية .

ويقتصر الباحث على أخلاقيات الحرب في جانب المعاهدات ، والمنابذات ومعاملة الأسرى ، باعتبار أنها تمثل الأخلاقيات قبل المعركة وبعد المعركة وتجمع نماذج من جوانب الأخلاق المعنوية من الوفاء والصدق في التعامل وحسن الظن ، وجوانب من الأخلاق العملية ، من عناية بالأسير ، واحترام إنسانيته وإعطائه حقوقه التي كفلها ديننا الإسلامي ، واعتنت بها تربيتنا الإسلامية لنقدم أسمى رسالة للعالم في أخلاقيات الحرب ، كل ذلك يورده الباحث في قالب تربوي يجمع بين التأصيل للفكرة وبعدها .

- **مشكلة البحث** :

طرأت مشكلة هذه الدراسة من خلال مشاهدة الحروب المعاصرة على شاشات القنوات الإعلامية، حيث شاهدت دمارا ، للحرث والنسل ، وتخريب للبنى

التحتية للبلدان ، واستنزاف للثروات والخيرات ، ووحشية في التعامل مع الأسرى من تعذيب بوحشية تأنف منها الفطر ، وتروع العقول ، وتنتهك الكرامات وتدنس الأعراض .

إن مما حفظناه من صغرنا أن الله قد أكمل لنا الدين وأتمه ، وارتضاه لنا ولم يدع لنا من شيء إلا وعندنا منه خبر ، فوقع في نفسي حينها السؤال الآتي : ما هي الأخلاقيات التي تحكم الحرب في ديننا ؟.

نعم كنت على يقين أن هذه النماذج المعاصرة للحرب بهذه الوحشية التي لاتفرق بين الصغير والكبير ، والمرأة والرجل ، والمحارب والمسالم ، والقائمة على الغدر ، ونقض المواثيق ، لا يمكن أن تكون هي صورة الإسلام ، الذي شعاره السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، لا يمكن أن تكون المعاهدة في الإسلام وسيلة للتقاط الأنفاس وتنظيم الجيوش ومن ثم المباغتة .

الأمر الذي قادني للبحث في القرآن والسنة ، عن إجابات لهذه الأسئلة ، فإذا أنا أقف أمام مدرسة أخلاقية كبرى ، لا أستطيع أن آتيها حصراً ودراسة في بحث مثل هذا ، لذا قررت أن أقدم ولو أنموذجا من هذه المدرسة الأخلاقية العظيمة لتمثل إشارات في طريق القيم والأخلاق الحربية في الإسلام ، لذا كانت هذه الدراسة التي بعنوان (الملامح التربوية لأخلاقيات الحرب في السيرة النبوية المعاهدة ، والمنابذة ، ومعاملة الأسرى أنموذجا ، دراسة تربوية تأصيلية).

تناولت فيها ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : الملامح التربوية لأخلاقيات الحرب في معاهدات الرسول صلى الله عليه وسلم
- المبحث الثاني : الملامح التربوية لأخلاقيات الحرب في منابذات الرسول صلى الله عليه وسلم
- المبحث الثالث : الملامح التربوية لأخلاقيات الحرب في معاملة الرسول . صلى الله عليه وسلم . للأسرى .

ولم أفرد الجانب التربوي بمبحث مستقل بل دمجت بين التأصيل في الدراسة والتطبيقات التربوية ، لتكون أكثر ملامسة لقلب القارئ فإن من شأن الفصل بين التأصيل وتطبيقات التربية ، أن يجعل القاري لا يلمس الحس التربوي المقصود من النص ، فإذا قرأه متأخراً لم يلمس جمال ودهشة وعظمة هذه التربية النبوية والأخلاق الحربية .

- **تساؤلات البحث** :

ما الملامح التربوية لأخلاقيات الحرب فى السيرة النبوية ؟ .. و يتفرع من هذا السؤال الرئيس التساؤلات التالية :

- ما الملامح التربوية المتضمنة في الأخلاق المتعلقة بالمعاهدات في السيرة النبوية ؟
- ما الملامح التربوية المتضمنة في الأخلاق المتعلقة بالمنابذة في السيرة النبوية؟

- ما الملامح التربوية المتضمنة فى الأخلاق المتعلقة بمعاملة الأسرى فى السيرة النبوية؟

• **أهداف البحث** :

بيان الملامح التربوية لأخلاقيات الحرب فى السيرة النبوية في :

- الملامح التربوية لأخلاقيات الحرب في معاهدات الرسول . صلى الله عليه وسلم . .
- الملامح التربوية لأخلاقيات الحرب في منابذات الرسول . صلى الله عليه وسلم . .
- الملامح التربوية لأخلاقيات الحرب في معاملة الرسول . صلى الله عليه وسلم . للأسرى .

• **أهمية البحث** :

تنبع أهمية هذه الدراسة من خطورة وكارثية واقع الحروب المعاصرة ، وغياب الفكر التربوي الإسلامي في تقديم منظومة الأخلاق الحربية للمجتمعات ، ولذا يمكن الإشارة إلى أهمية هذه الدراسة من خلال الآتي :

- إبراز عظمة أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية من خلال معاهدات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم . ، و تقديم هذا النموذج الأخلاقي الفريد ليكون نبراسا يكشف خلل وكذب المعاهدات الدولية المعاصرة التي لا تحكمها قيم إلا قيمة المصلحة فقط .
- تقديم أنموذج المنابذة كنموذج فريد في أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية يبرز عظمة الإسلام ، ومصداقية أهله ، وصدق التعامل ، ووضوح الرؤية وعدم الانطواء على الغش والخديعة ، حتى ولو كان ذلك مع العدو اللدود ولكنها عظمة الإسلام التي تبهر العقول ، وتفتح القلوب قبل الحصون .
- لو قدِّم في هذه الدراسة فقط إلا التعامل مع الأسير ، كأنموذج لأخلاقيات الحرب في السيرة النبوية ، لكان كافيا للدلالة على أهمية هذه الدراسة لاسيما والعالم شاهد بأسره ، انتهاك حرمات الأسرى في سجن (أبو غريب في العراق) ، وفي معتقلات (غوانتاناما) ، فإن في هذه الأخلاقيات التربوية ما فيه كفاية لإقناع العالم بعظمة الإسلام .
- العناية التأصيلية في تربيتنا الإسلامية بتراثنا الإسلامي ، من خلال مصدريه الكتاب والسنة ، وإبراز كنوزهما ، وتقديمه في قالب تربوي ، يمكن للأجيال أن ينهلوا منه من خلال محاضن التربية المختلفة .

• **منهج البحث** :

لإتمام هذا البحث تم استخدام مناهج بحث ثلاثة هي على النحو التالي :

أولا : المنهج الاستنباطي : وهو في اللغة مأخوذ " من الفعل (نبط) : يقال نبط الماء نبوطا : نبع ٠٠ واستنبط الفقيه : استخرج الفقه الباطن بفهمه واجتهاده "[١] ٠

[١] ـ محمد يعقوب الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ط٥ ، ١٤١٦هـ ، ص٨٨٩ـ ٨٩٠ ٠

وقد عرف الاستنباط على جهة العموم بأنه " كل ما يستخرجه الإنسان من مكنون سر أو غامض عام "[٢] وهو في اصطلاح أهل العلم بالشريعة الإسلامية " استخراج دقائق المعاني وحقائق الحكمة من آيات الله عز وجل وسنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ "[٣] .

ولذا نجد أن التناسب كاملا بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ، وهذا هو المعنى الذي أريده في هذا البحث ، حيث يستخرج من السنة المطهرة النصوص ذات العلاقة بموضوع البحث ، ويستفاد من هذا المنهج في استنباط النصوص من السنة المتعلقة بأخلاقيات الحرب في السيرة النبوية .

ثانيا : المنهج الوصفي : حيث استفدت من هذا المنهج في وصف واقع الحرب في العصر الحاضر ، حتى تتجلى الأخلاقيات الحربية الإسلامية بوضوح ، وإن كنت لم أبالغ في وصف هذا الواقع المرير حتى لا يكون هذا البحث بحث مقارنة ، وإنما وصفت واقع الحرب المعاصرة في ثنايا البحث حين يحتاج الأمر لمثل ذلك .

ثالثا : المنهج التاريخي : وقد استخدمت هذا المنهج للبحث في ثنايا كتب السيرة النبوية وغيرها ، للوقوف على تاريخ الحرب في الإسلام .

هذا وقد كان منهج التوثيق في هذا البحث على النحو التالي :

- حين يتم اقتباس نص من القرآن الكريم أو السنة النبوية أو حتى الكتب الحديثة يوضع رقم في نهاية الاقتباس ، ثم يكتب في حاشية الصفحة ، اسم المؤلف الثلاثي ، واسم الكتاب ، والطبعة إن وجدت ، وسنة النشر ، والجزء إن وجد ، وأخيراً الصفحة الموجود فيها النص باستثناء القرآن الكريم ، الذي نكتب اسم السورة ، ورقم الآية .
- تم توثيق الأحاديث في حواشي الصفحات على النحو التالي (اسم المؤلف الثلاثي ، اسم المصدر ، اسم الكتاب ، اسم الباب) نظرا لكثرة الطبعات وبالتالي نكتفي بذكر الكتاب والباب ، ذلك أن الوصول للنص في هذه الحالة يصبح ميسورا .
- إذا كان النص المقتبس كما هو موجود في المصدر دون تبديل وتغيير فإنني أضع النص بين قوسين ، أما إذا كان المقتبس من المصدر هو اقتباس معنى فقط فلا يوضع النص بين قوسين وأكتفي فقط بذكر المصدر في آخر النص .
- تم التوثيق بالاسم الأول ثم يأتي الاسم الثاني والأخير للمؤلف ، تحاشيا للمنهجية الغربية في التوثيق التي توثق أولا بالاسم الأخير ثم الأول .
- اعتمدت قدر المستطاع على الأحاديث الصحيحة سواء كانت من الصحيحين أو غيرهما

---

[٢] ـ أبو سليمان الخطابي ، غريب الحديث ، ١٤٠٢هـ ، ج١ ، ص ٢١ .
[٣] ـ محمود توفيق سعد ، سبل الاستنباط من الكتاب والسنة ، ١٤١٣هـ ، ص ١٥ .

- أكتفي أحيانًا بذكر بعض النصوص التي تؤكد هذا الخلق أو ذاك ، دون جمع لكل النصوص التي تتعلق بالخلق ، ذلك أن حصر كل النصوص فيه صعوبة ، ولكن الهدف هو التأكيد على أن هذا الخلق من أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية .

- **مصطلحات البحث** :

- **الملامح التربوية** :

ملامح الشيء علاماته الظاهرة التي توضحه ، ومراد الباحث إجرائيا في هذا البحث : البعد الإنساني التربوي الذي نستطيع أن نتخذ منه نبراسا في التعامل الخلقي ، ومدرسة أصيلة في دروس التعامل الحربي ، والرسالة السامية التي نلفت الانتباه إليها ردا لمن زعم أن الإسلام لم ينتشر إلا بقوة السيف ولا يعرف إلا سفك الدماء .

- **أخلاقيات** :

الأخلاق في اللغة: " جمع خُلُق ، والخُلُق: هو السجية والطبع ، مأخوذ من مادة : " خ ل ق " ومنه الخلق والخلق يقول ابن منظور : " الخلق هو الدين والطبع والسجية ، وحقيقته : أن صورة الإنسان الباطنة . وهي نفسه . وأوصافها ومعانيها المختصة بها ، بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها "٤ .

وفي القرآن الكريم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾٥ والجمع : أخلاق ، وهو الوصف للنفس بما تحمله من سجايا وخصال حسنة أو قبيحة .

وفي الاصطلاح يقول ابن القيم في بدائع التفسير :" الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة ، وإرادات زاكية ، وأعمال ظاهرة و باطنة ، موافقة للعدل والحكمة والمصلحة ، وأقوال مطابقة للحق ، والأعمال عن تلك العلوم والإرادات ، فتكتسب النفس بها أخلاقا ، هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها "٦ .

ومراد الباحث إجرائياً : مجموع الأقوال والأفعال والتصرفات التي صدرت من النبي . صلى الله عليه وسلم . فيما يتعلق بالمعاهدة والمنابذة ومعاملة الأسرى التي تحيط الحرب بسياج من الأخلاق والقيم ، التي تضبط تصرفات القائد والجندي قبل المعركة وفي أثنائها وبعدها ، باعتبار أن كل ذلك مما تعبدنا الله به ، وبالسير على سبيله .

- **الحرب** :

الحرب في اللغة : القتال بين فئتين ، وهى اسم للحالة التي هي نقيض السلم وهى مأخوذة من (ح ر ب) التي تدل على السلب ، فهي تسلب الدماء والأرواح

---

٤ - محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ ، ج١٠ ، ص ٨٦ ، مادة خلقَ .

٥ - سورة القلم ، آية ٤ .

٦ - محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، بدائع التفسير ، دار ابن عفان ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٦هـ ، ج٤ ، ص ٥٠٩ .

والأموال ، يقول ابن منظور : " الحرب: نقيض السلم، أنثى، وأصلها الصفة كأنها مقاتلة حرب"٧

اصطلاحاً: " قتال الحربيين نصرةً لدين الله عز وجل وإعلاء لكلمته ، فليس الجهاد قتال الكفار كما يظن بعض العوام ومن حاد عن سبيل سلف الأمة فليست العبرة بالدين الذي يكون عليه المخالفون ، فإن الذميين والمعاهدين والمستأمنين والمدنيين من أهل الشرك والكفر لا يجوز قتالهم ، كما أن البغاة والمحاربين والفساق والممتنعين عن أداء الشعائر ممن ينتمون لأهل القبلة يجب جهادهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر "٨.

- **السيرة النبوية** :

السيرة لغة : تعني السّنة والطريقة، والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره. يُقال فلان له سيرة حسنة، وقال تعالى: (سنعيدها سيرتها الأولى)٩.

السيرة اصطلاحًا: السيرة النبوية تعني مجموع مِا ورد لنا من وقائع حياة النبي . صلى الله عليه وسلم . وصفاته الخلقية والخَلقية، مضافا إليها غزواته وسراياه. صلى الله عليه وسلم..

والمراد بها إجرائياً عند الباحث : النصوص الصريحة الصحيحة التي تحدثت عن أخلاق الرسول . صلى الله عليه وسلم . الحربية في جانب معاهداته ومنابذاته ، وتعامله مع الأسرى .

- **المعاهدة** :

العهد في اللغة : يأتي بمعنى:" الأَمانُ واليَمِينُ والمَوْثِقُ والذِّمَّة والحِفَاظ والوَصِيَّة." ١٠

والمعاهدة : مأخوذة من العهد وهو : " حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال وسمى الموثق الذي يلزم مراعاته عهدا "١١ "

- **المنابذة** :

المنابذة في اللغة :" إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به ، ولذلك يقال نبذته نبذ النعل الخلق، ... وقوله (فانبذ إليهم على سواء) معناه ألق إليهم السلم، واستعمال النبذ في ذلك كاستعمال الإلقاء "١٢

---

٧ - محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ ، ج١٠ ، ص ١٠٣ مادة حرب .

٨- أبى عبد الرحمن غنيم غنيم عبد العظيم لواتي ، إرشاد البرية إلى أخلاقيات الحرب فى السيرة النبوية ، بحث مقدم لرابطة العالم الإسلامي ، شعبان ١٤٢٨ - سبتمبر ٢٠٠٧ ، ص ١١ .

٩- سورة طه ، آية ٢١ .

١٠ - محمد بن أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، ط ١ ، ١٩٦٧م ، ج٢ ، ص ٥١٥ .

١١ - الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، ط٢ ، ١٤١٨هـ ، ص ٥٩١ .

١٢ - الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، ط٢ ، ١٤١٨هـ ، ص ٧٨٨ .

وأما في الاصطلاح فالمنابذة تعني : " تخير كل واحدٍ من الفريقين الحرب "١٣

" قال الأزهري: المُنابذة أن تكون بين فئتين عهد وهدنة بعد القتال ، ثم أراد نقض ذلك العهد فينبذ كل فريق منهما إلى صاحبه العهد الذي توادعا عليه."١٤

- **تعريف الأسير** :

في اللغة : " الأسر : الشد بالقيد من قولهم : أسرت القتب وسمى الأسير بذلك ، ثم قيل لكل مأخوذ ومقيد وإن لم يكن مشدودا ذلك ، وقيل في جمعه أسارى ، و أسارى ، وإسرى."١٥

وفي الاصطلاح : " الْأَسْرَى : هم الرجال الْمُقَاتِلُونَ مِنْ الْكُفَّارِ إِذَا ظَفَرَ الْمُسْلِمُونَ بِأَسْرِهِمْ أَحْيَاءَ " ١٦

- **الدراسات السابقة** :

الدراسة الأولى	
عنوان لدراسة	إرشاد البرية إلى أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية .
اسم الباحث	أبي عبد الرحمن غنيم غنيم عبد العظيم لواتي
جهة البحث	بحث مقدم لرابطة العالم الإسلامي ، شعبان ١٤٢٨ - سبتمبر ٢٠٠٧ .
ملخص فكرة الدراسة	جاء البحث بمحتواه لثلاثة أغراض: لتوضيح أخلاق الحرب في السيرة النبوية . لبيان شبهات من تَلَبَّسَ عليهم فقه الحرب والجهاد ممن ينتمون إلى الإسلام . للرد على مطاعن أعداء الإسلام حول فقه الحرب والجهاد وأخلاق المجاهدين .
وجه الشبه مع الدراسة الحالية	الدراستان تتناولان أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية لتقديم نماذج لرقي الأخلاق الإسلامية حتى في مجال الحرب ، التي يضن اليوم أن أبعد ما يكون إليها مسمى الأخلاق .
وجه الاختلاف مع الدراسة الحالية	الدراسة الحالية متخصصة في الجانب التأصيلي والتربوي ، فهي تتضمن توجيهات عن كريم الأخلاق وسمو القيم ، واتخذت من الأخلاق في الحرب ثلاثة نماذج فقط لتلقي الضوء عليها وتقدمها أنموذجا تربويا تأصيليا ، بينما دراسة (غنيم) دراسة استقرائية تأصيلية سلفية كما يقول صاحبها ، فهو لا يتوقف عند النص ليعطي إشارة إلى دلالاته التربوية .
الإضافة في الدراسة الحالية	البعد التربوي الذي يعني ربط كنوز السيرة النبوية بمواقف التربية المختلفة ، والتوجيهات بكيفية الاستفادة منها في مناحي الحياة .

---

١٣ - محمد خلف الله أحمد وآخرون ، المعجم الوسيط ، ج٢ ، ص ٦٣٤.
١٤ - الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج٥ ، ص ٦٥ .
١٥ - الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، ط٢ ، ١٤١٨هـ ، ص ٧٦ .
١٦ - الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ج١ ، ص ٢٥١ .

الدراسة الثانية	
عنوان لدراسة	أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية .
اسم الباحث	صالح بن علي الشمراني
جهة البحث	بحث مقدم لرابطة العالم الإسلامي ، شعبان ١٤٢٨ - سبتمبر ٢٠٠٧ .
ملخص فكرة الدراسة	البحث رصد أخلاقيات الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الحرب مع جيشه – أصحابه – ، وعدته وعتاده في الحرب والسلم ، ورصد أخلاقياته - صلى الله عليه وسلم - مع عدوه في حال السلم ، ثم أخلاقياته - صلى الله عليه وسلم - مع عدوه في حال الحرب ، وأخلاقياته حال النصر ، وحال الهزيمة .
وجه الشبه مع الدراسة الحالية	الدراستان تناولتا أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية من حيث الرغبة في تقديم النماذج الرائعة لأخلاقيات الحرب التي انعدمت في الحروب المعاصرة ، وإبراز هذه الكنوز الرائعة وتجليتها لتكون نموذجا يدرس في عالمنا المعاصر ، وردا على كل من اتهم الإسلام بإراقة الدماء .
وجه الاختلاف مع الدراسة الحالية	الدراسة الحالية تهتم بإبراز هذه الأخلاقيات على شكل تضمينات تربوية ، تبرز جمال التربية الإسلامية في كافة جوانبها ، وتشير إلى هذه الكنوز في قالب تربوي تأصيلي .
الإضافة في الدراسة الحالية	التركيز على النماذج المختارة - المعاهدة ، والمنابذة ، والتعامل مع الأسرى ، وعدم التوسع بغية إبراز العمق التربوي .

- **المبحث الأول: أخلاقيات الحرب في معاهدات الرسول - صلى الله عليه وسلم**
- **تعريف المعاهدة** :

العهد في اللغة : يأتي بمعنى:" الأَمانُ واليَمِينُ والمَوْثِقُ والذِّمَّة والحِفَاظ والوَصِيَّة." [١٧]

والمعاهدة : مأخوذة من العهد وهو :" حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال وسمى الموثق الذي يلزم مراعاته عهدا "[١٨] " والمعاهد في عرف الشرع : يختص بمن يدخل من الكفار في عهد المسلمين ، وكذلك ذو العهد، قال . صلى الله عليه وسلم .: " لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده " [١٩]

والمعاهدة في الاصطلاح : " ميثاق يكون بين اثنين ، أو جماعتين " [٢٠]

- **مكانة المعاهدة في السنة النبوية** :

جاءت السنة النبوية بالحث على الوفاء بالعهد لصاحبه ، ولم تفرق في ذلك بين مؤمن وكافر ، وكل ذلك لضمان سير الحياة التي يحتاج الناس فيها إلى تبادل المصالح ، وإلى الأمان على أنفسهم وأموالهم ، وتوعدت كل من نقض

---

[١٧] - محمد بن أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، ط ١ ، ١٩٦٧م ، ج٢ ، ص ٥١٥ .
[١٨] - الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، ط٢ ، ١٤١٨هـ ، ص ٥٩١ .
[١٩] - المرجع السابق ، ص ٥٩٢ .
[٢٠] - محمد خلف الله أحمد وآخرون ، المعجم الوسيط ، ١٩٨٥م ، ج٢ ، ص ٦٣٤.

العهد ، " فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ النَّبِيِّ . صلى الله عليه وسلم . قَالَ: " مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا " ٢١

ومن ذلك التحذير على مستوى الأمة من نقض العهود ، وذلك في قوله . صلى الله عليه وسلم . عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أنه قَالَ : مَا خَتَرَ٢٢ قَوْمٌ بِالعَهْدِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ العَدُوَّ " ٢٣

ويكفي تحذيراً للأمة من نقض العهد ، أن السنة جاءت باعتبار نقض العهد صفة أكيدة من صفات المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار ، وذلك في قوله . صلى الله عليه وسلم . : " أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ ، حَتَّى يَدَعَهَا ، إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ" ٢٤

ولاشك أن هذا التحذير يشمل الراعي والرعية ، ويشمل الوفاء بالعهد مع المؤمن والكافر ، والصديق والعدو على حد سواء ، فكما أنه يجب على الفرد الوفاء بالعهود مع الأفراد والجماعات التي عاهدها ، يجب على الوالي الوفاء بالعهد لمن عاهدهم سواء أفرادا ، أو معاهدات دولية تحقق تبادل المصالح والمنافع للشعوب مع بعضها البعض ، بل هي علامة على رجحان العقل وكماله كما في قوله تعالى : { أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ، الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ } ٢٥

- **أبرز أهداف المعاهدات في السيرة النبوية** :

لا شك أن رسول الرحمة – صلى الله عليه وسلم – كان يسعى إلى تحقيق أهداف سامية من معاهداته التي عقدها مع أعدائه ، قد ندرك بعض هذه الأهداف ، ويخفى علينا بعضها ، ومن أبرز هذه الأهداف ما يلي :

- تحقيق اللحمة الواحدة داخل المدينة المنورة ، وجمع الشتات وتحقيق الوئام بين الأجناس البشرية الموجودة بالمدينة ، حيث قدم النبي . صلى الله عليه وسلم . المدينة المنورة ، فوجد بها أناسا مختلفي الأجناس ، تتعدد دياناتهم وتتباين ، وتختلف قواهم وتحصيناتهم ، تمزقهم الإحن والأحقاد ، وتسيطر عليهم المفاخر والأنساب ، فكان لزاما أن يحقق نوعا من التعاون بين هذا الشتات ، ووئاما بين هذا التفرق ،لتكون عاصمة الإسلام أنموذجا رائعا للبشرية في لحمتها ووحدتها ؛ ليتحقق التعاون بين الجميع في سبيل

---

٢١ ـ محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد والسير ، بَاب : إِثْمِ مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا بِغَيْرِ جُرْمٍ .

٢٢ ـ الختر : الغدر .

٢٣ ـ مالك بن أنس ، الموطأ ، باب : ما جاء في الوفاء بالأيمان ، ج١ ، ص ٣٠٥ .

٢٤ ـ محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب : الإيمان ، باب : علامة المنافق .

٢٥ ـ سورة الرعد ، آية ١٩ـ٢٠ .

النهضة الحضارية لدولة الإسلام ، ولذا كانت معاهداته . صلى الله عليه وسلم . مع طوائف وقبائل اليهود الذين يسكنون المدينة ، والأعراب الذين يسكنون حولها تحقيقا لهذا الهدف النبيل ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : " وَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَادَعَ فِيهِ يَهُودَ وَعَاهَدَهُمْ وَأَقَرَّهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَشَرَطَ لَهُمْ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ " بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ . صلى الله عليه وسلم . ، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ،وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ إِنَّهُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النَّاسِ ..وَإِنَّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنْ يَهُودَ فَإِنَّ لَهُ النَّصْرَ وَالْأُسْوَةَ غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَامُتَنَاصَرَ عليهم" [٢٦]

- تحقيق النصرة لأصحاب المعاهدة بعضهم لبعض على من اعتدى عليهم ، أو ظلمهم ، وحماية أرضهم وأنفسهم ، والنصيحة لبعضهم ، والبر دون الإثم حيث جاء في المعاهدة " وإن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم وإن بينهم النصرة على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة،والبر دون الإثم "[٢٧]
- تحقيق الأمن النفسي بين أهل الوثيقة الذين تعاهدوا على الحماية والنصرة ، وردع الظالم ، ونصرة المظلوم ، ومعلوم أن الأمن النفسي مطلب مهم لتستقر النفوس ، ويهدأ الروع ، وتكون العقول منتجة مثمرة لا تفكر إلا في الإنتاج والعمل ، قد أطمأنت على أنفسها وأهلها ومصالحها ، لا تقبل ظالما ولا تؤويه ولا تمكن له في دولة الإسلام ، حيث جاء في بنود المعاهدة " وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه ، وإن من نصره أو آواه ، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل "[٢٨]
- الحرية الدينية كانت من أهداف المعاهدات ، حيث قامت أول معاهدة للنبي . صلى الله عليه وسلم . مع اليهود تكفل هذه الحق لكل الطوائف ، ولا يخفى ما في هذا الأمر من سمو في أخلاقيات المعاهدات ، بل سمو هذا الدين ، الذي لم يكن الهدف منه إلا تبليغ دين الله في الأرض وعدم الصد عنه ، حيث جاء في هذه الوثيقة ، "وَإِنّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِيْنِ دِينُهُمْ مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ إلا مَنْ ظلمَ وَأَثِمَ فإنّهُ لا يُوتِغُ[٢٩] إلا نَفسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ ، وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي النّجّارمِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْف ، وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي الحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ؛ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ؛ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمٍ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ؛ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي الأَوْسِ

---

[٢٦] - ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٥١-٥٢ ، وأكرم ضياء العمري ، السيرة النبوية الصحيحة ، ج١ ، ص ٢٨٢-٢٨٣

[٢٧] - أكرم العمري ، السيرة النبوية الصحيحة ، ج١ ، ص ٢٨٤ .

[٢٨] - المرجع السابق ، ج١ ، ص ٢٨٣ .

[٢٩] - يوتغ : يحمل وزر .

مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ ، إلّا مَنْ ظلمَ وَأثِمَ فإنّهُ لا يُوتِغُ إلّا نَفسَهُ وَأهْلَ بَيْتِهِ "٣٠

- التربية على المسؤولية الجماعية ، حيث يعتبر الجميع مسؤولين عن محاربة الجريمة والفساد في الأرض ، وهذا يسهل العمل على تعقب الجناة والمجرمين ، لعدم وجود قوة منظمة كالشرطة ورجال الأمن وغيرها ولاشك أن المسؤولية الجماعية تكون أدق وأضبط للجريمة من المسؤولية الملقاة على جهة معينة ، حيث جاء في الوثيقة " وَإِنّهُ لا يَحِلّ لِمُؤْمِنٍ أَقَرّ بِمَا فِي هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَآمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَنْصُرَ مُحْدِثًا وَلا يُؤْوِيهِ وَأَنّهُ مَنْ نَصَرَهُ أَوْ آوَاهُ فَإِنّ عَلَيْهِ لَعْنَةَ اللّهِ وَغَضَبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ."٣١ وجاء فيها أيضا : " وَإِنّهُ لا يَحُولُ هَذَا الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ وَآثِمٍ "٣٢
- تحديد السلطة القضائية العليا الموحدة ، التي يحتكم إليها الجميع في حال الاختلاف والشجار بين أهل الوثيقة ، مع وجود الحرية الدينية حيث لم يلزم اليهود بالتحاكم إلى الإسلام في أمورهم الخاصة ، حيث جاء في بنود المعاهدة : " وَإِنّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ فَإِنّ مَرَدّهُ إلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ وَإِلَى مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّهِ . صلى الله عليه وسلم . وَإِنّ اللّهَ عَلَى أَتْقَى مَا فِي هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَأَبَرّهِ "٣٣
- حقن دماء الناس وتعظيم حرمات الله قدر استطاعته . صلى الله عليه وسلم . فهو الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة إلى الناس أجمعين ، حيث عاهد ووادع رسول الله . صلى الله عليه وسلم . كثيرا من القبائل العربية مثل : " بني ضمرة بن أبي بكر بن عبد مناف من كنانة ، وبني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة ، وموادعة نصارى نجران " ، كل ذلك كان من أجل حقن دماء الناس والسماح للدعوة أن تقبل بالعقل والإقناع ، وترك الحرية أمام الناس وعدم صدهم عن الإسلام ، ولا أدل على رغبته في حقن دماء الناس ، وتعظيم حرمات الله مما فعله يوم صلح الحديبية في معاهدته مع قريش ، وقوله لعبارته " والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ."٣٤ ، ولذا كان من أول بنود صلح الحديبية الذي تمت المعاهد فيه بين رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ، وقريش " وَضْعِ الحَرْبِ عَنْ النّاسِ عَشْرَ سِنِينَ يَأْمَنُ فِيهِنّ النّاسُ وَيَكُفّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ."٣٥

---

٣٠ - المرجع السابق ، ج١ ، ص ٢٨٤ .
٣١ - ابن هشام ، السيرة ، ج١ ، ص ٥٠٢.
٣٢ - المرجع السابق ، ج١ ، ص ٥٠٣ .
٣٣ - المرجع السابق ، ج١ ، ص ٥٠٣ .
٣٤ - ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص ٣٣٠ . ، وانظر صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، بَاب الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ وَالْمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ.
٣٥ - ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٢ ، ص ٣١٧ ، أكرم العمري ، السيرة النبوية الصحيحة ، ج٢ ، ص ٤٤٢ .

إن المتأمل في هذه الأهداف السامية ، يجد أن فيها من الخير ما فيها ، فكل مايهدف إليه الرسول . صلى الله عليه وسلم . هو إنقاذ البشرية من الظلم والضلال والحفاظ على أموالهم وأنفسهم ، فلا تجد من أهداف معاهداته . صلى الله عليه وسلم . أطماعا مادية ، أو رغبة في السلطة والسيطرة ، كما يحدث في بعض الاتفاقيات والمعاهدات الدولية المعاصرة ، بل إن بعض معاهداته . صلى الله عليه وسلم . كان يرى فيها بعض أصحابه إجحافا واضحا عليهم ، لكن كان همه وهدفه إنقاذ البشرية من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، بل يتجنب خوض الحروب إلا عند الضرورة ، وهذا ما يدحض افتراء ما تناقلته وسائل الإعلام الغربية بأن الرسول . صلى الله عليه وسلم . كان إرهابيا دمويا .

- **نماذج من أخلاقه - صلى الله عليه وسلم - في معاهداته** :

المعاهدة أو الموادعة هي صورة من صور أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية حيث لم تقم هذه المعاهدات إلا من أجل تحقيق غايات عظمى كما سبق بيانه في أهداف المعاهدات في السيرة النبوية ، وهذه المعاهدات كانت تظهر فيها مصلحة الأعداء أحيانا على مصلحة المسلمين ، كما كان في صلح الحديبية ، ولكن مع ذلك يقبل الرسول . صلى الله عليه وسلم . ، حقنا للدماء ، وبعدا عن الحرب وفيما يلي نماذج من أخلاقيات المعاهدات في السيرة النبوية :

الوفاء بالعهد : فلم ينقض الرسول . صلى الله عليه وسلم . ، أيا من معاهداته مع أعدائه ، ولم يغدر بهم ، إلا أن يظهر منهم النقض والمكر بالمسلمين ويبدأوا ذلك بأنفسهم ، حتى ولو كانت هذه المعاهدة من الظلم والحيف على المسلمين كما حصل في صلح الحديبية ، الذي كان من أبرز شروطه " أَنَّهُ مَنْ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهِ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مِمَّنْ مَعَ مُحَمَّدٍ لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ "[٣٦] ، وفي لحظة كتابة هذا العهد ، يأتي أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، ابن أحد المفاوضين من قبل قريش وهو سهيل بن عمرو ، ووفاء من رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يرده وهو يرسف في قيوده ، وقلوب المسلمين تعتصر ألما على هذا المسلم الجديد الذي يرد إلى الكفار يفتنونه في دينه ، جاء عند ابن هشام " فَبَيْنَا رَسُولُ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . يَكْتُبُ الكِتَابَ هُوَ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ، إِذْ جَاءَ أَبُو جَنْدَلِ بْنُ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي الحَدِيدِ قَدْ انْفَلَتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . خَرَجُوا وَهُمْ لَا يَشُكُّونَ فِي الفَتْحِ لِرُؤْيَا رَآهَا رَسُولُ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . فَلَمَّا رَأَوْا مَا رَأَوْا مِنَ الصُّلْحِ وَالرُّجُوعِ وَمَا تَحَمَّلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . فِي نَفْسِهِ دَخَلَ عَلَى النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ أَمْرٌ عَظِيمٌ حَتَّى كَادُوا يَهْلِكُونَ فَلَمَّا رَأَى سُهَيْلٌ أَبَا جَنْدَلٍ قَامَ إِلَيْهِ فَضَرَبَ وَجْهَهُ وَأَخَذَ بِتَلْبِيبِهِ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ قَدْ لَجَّتْ القَضِيَّةُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكَ هَذَا ؛ قَالَ صَدَقْتَ فَجَعَلَ يَنْتُرُهُ بِتَلْبِيبِهِ وَيَجُرُّهُ لِيَرُدَّهُ إِلَى قُرَيْشٍ ، وَجَعَلَ أَبُو جَنْدَلٍ يَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ أُأَرَدُّ إِلَى المُشْرِكِينَ يَفْتِنُونِي فِي دِينِي ؟ فَزَادَ ذَلِكَ النَّاسَ إِلَى مَا بِهِمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . يَا أَبَا جَنْدَلٍ اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ

---

[٣٦] - ابن هشام ، السيرة ، ج٢ ، ص ٣١٧ . ، وانظر أكرم العمري ، السيرة النبوية الصحيحة ، ج٢ ، ص٤٤٢ .

مَعَكَ مِنْ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا ، إنّا قَدْ عَقَدْنَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ صُلْحًا وَأَعْطَيْنَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَأَعْطَوْنَا عَهْدَ اللّهِ وَإِنّا لَا نَغْدِرُ بِهِمْ "٣٧ ،

بل إن من وفائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وحرصه على عدم خرم أي شيء من بنود المعاهدة التي تمت بينه وبين قريش ، أنه لما دخل مكة لأداء عمرة القضاء من العام القابل كما صالح قريشا على ذلك ، لم يدخل إلا بالسيوف في القرب وتركها خارج مكة لتكون قريبة منه عند احتياجها ، بل إنه لم يمكث بمكة سوى ثلاثة أيام كما حددتها بنود المعاهدة ، حتى أنه لما أراد أن يقيم وليمة بنائه بزوجته ميمونة – رضي الله عنها – لم تأذن له قريش لأن المهلة انتهت ، فخرج ولم يقمها إلا خارج مكة ، وفاء بالعهد والتزاما بشروط الصلح ،قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : " فَأَقَامَ رَسُولُ اللّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بِمَكّةَ ثَلَاثًا فَأَتَاهُ حُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِ الْعُزّى بْنِ أَبِي قَيْسِ بْنِ عَبْدِ وَدّ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِسْلٍ ، فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْيَوْمِ الثّالِثِ وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ وَكّلَتْهُ بِإِخْرَاجِ رَسُولِ اللّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ مِنْ مَكّةَ ؟ فَقَالُوا لَهُ إنّهُ قَدْ انْقَضَى أَجَلُكَ ، فَاخْرُجْ عَنّا ؛ فَقَالَ النّبِيّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَمَا عَلَيْكُمْ لَوْ تَرَكْتُمُونِي فَأَعْرَسْت بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ ، وَصَنَعْنَا لَكُمْ طَعَامًا فَحَضَرْتُمُوهُ قَالُوا : لَا حَاجَةَ لَنَا فِي طَعَامِكَ فَاخْرُجْ عَنّا فَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَخَلّفَ أَبَا رَافِعٍ مَوْلَاهُ عَلَى مَيْمُونَةَ ، حَتّى أَتَاهُ بِهَا بِسَرِفَ ، فَبَنَى بِهَا رَسُولُ اللّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ هُنَالِكَ. "٣٨

وظل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على وفائه بشروط صلح الحديبية حتى نقضته قريش بإعانتها حلفاءها بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : " فَلَمّا تَظَاهَرَتْ بَنُو بَكْرٍ وَقُرَيْشٌ عَلَى خُزَاعَةَ ، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَا أَصَابُوا ، وَنَقَضُوا مَا كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ مِنْ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ بِمَا اسْتَحَلّوا مِنْ خُزَاعَةَ ، وَكَانَ فِي عَقْدِهِ وَعَهْدِهِ خَرَجَ عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ الْخُزَاعِيّ ثُمّ أَحَدُ بَنِي كَعْبٍ حَتّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ الْمَدِينَةَ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِمّا هَاجَ فَتْحَ مَكّةَ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ النّاسِ فَقَالَ :

يَا رَبّ إنّي نَاشِدٌ مُحَمّدًا ... حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا
قَدْ كُنْتُمْ وُلْدًا وَكُنّا وَالِدَا ... ثُمّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا
فَانْصُرْ هَدَاكَ اللّهُ نَصْرًا أَعْتَدَى ... وَادْعُ عِبَادَ اللّهِ يَأْتُوا مَدَدَا
فِيهِمْ رَسُولُ اللّهِ قَدْ تَجَرّدَا ... إنْ سِيمَ خَسْفًا وَجْهُهُ تَرَبّدَا
فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدًا ... إنّ قُرَيْشًا أَخْلَفُوك الْمَوْعِدَا
وَنَقَضُوا مِيثَاقَك الْمُؤَكّدَا ... وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رُصّدَا

---

[٣٧] ـ ابن هشام ، السيرة ، ج٢ ، ص ٣١٨ .
[٣٨] ـ المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٣٧٢ .

وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا ... وَهُـمْ أَذَلّ وَأَقَلّ عَـدَدَا
هُمْ بَيّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجّـدًا ... وَقَتَلُونَـا رُكّعًـا وَسُجّدَا

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ . صلى الله عليه وسلم . : نُصِرْتَ يَا عَمْرَو بْنُ سَالِمٍ ."٣٩

فخلق الوفاء بالعهد من الأخلاق التي دعا إليها الإسلام ، وقد مارس ذلك رسول الرحمة . صلى الله عليه وسلم . كما ذكرنا سابقا ، بل إن الإسلام يوجب على أتباعه التزام ذلك الخلق العظيم ، لكن الملاحظ في عصرنا الحاضر أن بعض الدول لا تفي بعهودها ، فكم أصدرت هيئة الأمم المتحدة من قرارات تلزم دولا ظالمة بالعدول عن ظلمها ، لكن دون جدوى ، وهذا ما يميز الإسلام عن غيره فالمسلم يلتزم بهذا الخلق ؛ لأن ذلك جزء من دينه ، بينما غير المسلم قد لايلتزم بعهوده ومواثيقه إذا رأى أن مصلحته المادية الدنيوية خلاف ما جاء في هذه العهود .

الحاجة الماسة للدعم العسكري لا تبيح الاستعانة بمن عاهد عهداً بعدم القتال: لقد كانت حاجة المسلمين يوم بدر ماسة للدعم ، لقلة عددهم مقارنة بعدد قريش ، ومع تلك الحاجة يقوم اثنان ممن أسلموا ولحقوا بالنبي . صلى الله عليه وسلم .، ولكن كان بينهم وبين المشركين عهد بعدم القتال ضدهم مع رسول الله . صلى الله عليه وسلم . جاء عند مسلم : " عن حُذَيْفَةَ بْنُ الْيَمَانِ قَالَ : مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ قَالَ : فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ ، قَالُوا إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا ، فَقُلْنَا : مَا نُرِيدُهُ مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ : انْصَرِفَا نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ "٤٠

أي أخلاقيات هذه في الحرب يسطرها الإسلام ، تفي للعدو بالعهد وهي تقف أمامه في جبهة القتال ، ولا شك أن هذا الوفاء هو الذي شهد الأعداء قبل الأصحاب والأولياء به للنبي . صلى الله عليه وسلم . ، فهذا أبو سفيان بن حرب . قبل إسلامه . لما سأله هرقل عن وفائه . صلى الله عليه وسلم . لم يستطع إخفاء ذلك ، مع بالغ حرصه على أن يجد مدخلا للطعن في رسول الله . صلى الله عليه وسلم . حيث سأله هل يغدر ؟ ، جاء عند البخاري " وَسَأَلْتُك هَلْ يَغْدِرُ ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ "٤١

بريد المشركين يسلم فيرده محمد . صلى الله عليه وسلم . وفاء بالعهد :

يسلم أبو رافع بريد ورسول المشركين إلى الرسول . صلى الله عليه وسلم . ويرده . صلى الله عليه وسلم . وفاء بعهده مع قريش ، وبيانا لأخلاق الإسلام في التعامل مع الرسل جاء عند أبي داود : عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ أَنَّ أَبَا

---

٣٩ - ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص ٣٩٣.
٤٠ - محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب الوفاء بالعهد .
٤١ - المرجع السابق ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي .

رَافِعٍ أَخْبَرَهُ قَالَ : " بَعَثَتْنِي قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ أُلْقِيَ فِي قَلْبِي الإِسْلاَمُ فقلتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي وَاللهِ لا أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ أَبَدًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إِنِّي لا أَخِيسُ بِالْعَهْدِ وَلا أَحْبِسُ الْبُرُدَ وَلَكِنْ ارْجِعْ فَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِكَ الَّذِي فِي نَفْسِكَ الآنَ فَارْجِعْ ، قَالَ : فَذَهَبْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَأَسْلَمْتُ "٤٢

إنها روائع أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية ، التي تصدر عن عظمة هذا الدين ، وأين ذلك مما يعيشه عالمنا اليوم من فرح بانضمام مثل هؤلاء إلى صفوف القوى المتصارعة ، بل واعتباره مكسبا ، دون مراعاة للعهود والمواثيق واحترام للسفراء أو الرسل ، فقد يحبس السفير أو يقتل ، أو يتخذ درعا بشريا إلى غير ذلك من انحطاط في الأخلاق الحربية .

- **المبحث الثاني: أخلاقيات الحرب في منابذات الرسول- صلى الله عليه وسلم-**

لما كان خلق الوفاء بالعهد على الصورة التي رأيناها في حروب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع أعدائه ، حيث لم يغدر ، ولم ينقض عهدا عاهد عليه قوما إلا أن يرى منهم ما يوجب نقض العهد ، كما حصل من قبائل اليهود بالمدينة وكما حصل من قريش حينما أعانت حلفاءها من بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، لكن جعل الله لرسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مخرجا حينما يخاف من قوم غدرا أو خيانة ، فيخشى مباغتتهم للمسلمين حيث يصبح الأمر مقلقا للمسلمين ، فلا هم يأمنون اعتمادا على ما بينهم وبين أعدائهم من عهد بسبب ما يظهر من العدو من خيانة ، فيخشون المباغتة منهم ولا هم يستطيعون مهاجمة العدو ومباغتته وتأديبه ، لأن أخلاق الإسلام الحربية تأبى ذلك ، فعند هذه الحالة جعل الله المنابذة مخرجا من العهد ، حيث يرسل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المشركين الذين بينه و بينهم ميثاق وعهد أنه في حل من ذلك العهد ، ويجب أن يأخذوا حذرهم ، ومع ذلك يرتب الإسلام على أمر المنابذة أخلاقيات نقف على طرف منها بعد أن نعرض تعريف المنابذة ومكانتها في السنة ونذكر أبرز أهدافها .

- **تعريف المنابذة** :

النبذ في اللغة : " إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به ، ولذلك يقال نبذته نبذ النعل الخلق، ... وقوله (فانبذ إليهم على سواء) معناه ألق إليهم السلم واستعمال النبذ في ذلك كاستعمال الإلقاء "٤٣

وأما في الاصطلاح فالمنابذة تعني : " تخير كل واحدٍ من الفريقين الحرب "٤٤

" قال الأزهري: المُنابذة أن تكون بين فئتين عهد وهدنة بعد القتال ، ثم أراد نقض ذلك العهد فينبذ كل فريق منهما إلى صاحبه العهد الذي توادعا عليه."٤٥

---

٤٢ - أبو داود سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، باب : فِي الْإِمَامِ يُسْتَجَنُّ بِهِ فِي الْعُهُودِ .
٤٣ - الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، ط٢ ، ١٤١٨هـ ، ص ٧٨٨ .
٤٤ - محمد خلف الله أحمد وآخرون ، المعجم الوسيط ، ج٢ ، ص ٦٣٤.
٤٥ - الأزهري ، تهذيب اللغة ، ج٥ ، ص ٦٥ .

والمراد أن يكون بين فريقين عهد ثم يريد أحدهما نقض ذلك العهد ، فينبذوا إلى صاحبه العهد الذي عاهده عليه ، ومن ذلك قول الله تعالى : ((وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ))٤٦

يقول ابن جرير : " وإما تخافن يا محمد، من عدو لك بينك وبينه عهد وعقد، أن ينكث عهده وينقض عقده ويغدر بك ، وذلك هو الخيانة والغدر (فانبذ إليهم على سواء) ، يقول: فناجزهم بالحرب، وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم، بما كان منهم من ظهور أثار الغدر والخيانة منهم ، حتى تصير أنتَ وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب، فيأخذوا للحرب آلتها، وتبرأ من الغدر"٤٧

- **مكانة المنابذة في السنة النبوية** :

تمثل النبي . صلى الله عليه وسلم . خلق الوفاء في كافة عهوده ومواثيقه مع الأعداء ممن صالحهم وعاهدهم ، ولم ينقض شيئا مما عاهدهم عليه ، حتى يكون النقض من الطرف الآخر ، أو تنتهي مدة العهد فيكون . صلى الله عليه وسلم . في حل من ذلك العهد ، وأما إذا ظهرت آثار الغدر والخيانة من العدو فقد جاء التوجيه الرباني بالمنابذة التي جعلها الله مخرجا من العهد ، لكي لا يقع من المسلمين غدر ولا خيانة ، فالأصل الوفاء بالعهد لمن لم يظهر منه الغدر والخيانة يقول الله تعالى:((إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ))٤٨

إن الله عز وجل يجعل في هذه الآيات الوفاء بالعهد لمن لم يظهر منه غدر ولا خيانة من صفات المتقين الذين يحبهم الله ، ولذا بعث الرسول . صلى الله عليه وسلم . علي بن أبي طالب رضي الله عنه بصدر سورة براءة وأمره أن يؤذن في الناس " يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريانا ، ومن كان له عند رسول الله . صلى الله عليه وسلم . عهد فهو إلى مدته "٤٩، يقول الله تعالى : ((بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢) وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣) إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ))٥٠

---

٤٦ - سورة الأنفال ، آية ٥٨ .
٤٧ - محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان في تأويل آي القرآن ، ج١٤ ، ص ٢٥ .
٤٨ - سورة التوبة ، آية ٤ .
٤٩ - ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٤ ، ص ١٨٧ ، وأصله عند البخاري في الصحيح ، كتاب الصلاة : باب : ما يستر من العورة .
٥٠ - سورة التوبة ، آية ١-٤ .

وبهذا الإعلان في الناس نلحظ كمال الخلق الحربي في الإسلام ، والذي يفي بالعهد إلى مدته لمن وفى بالعهد مع المسلمين ، وينبذ إلى الناس على وضوح وبينة ولمدة عام قادم أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، ليكون الناس على بينة وعلم ، وتبرأ ذمم المسلمين من الغدر والخيانة .

- **أبرز أهداف المنابذة في السيرة النبوية** :

يمكن تحديد أبرز أهداف المنابذة في السيرة النبوية في النقاط التالية :

- الوفاء بالعهد لمن كان بينه وبين المسلمين عهد أو ميثاق أو صلح وعدم الغدر والخيانة لأنها ليست من صفات المسلم ، يقول الله تعالى:((كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ))[٥١] ، فقد رتب الله عز وجل حصول التقوى لمن وفى بعهده ولم يغدر ولم يخن .
- وضوح المسلم وشفافيته فهو غير خائن ولا غادر ، ولا يخفي الدسائس لمن كان بينه وبينهم عهد ، وإذا رأى ما يستوجب نقض العهد منهم أو بدء توجس منهم خيفة ، فلا يصح له أن يبادلهم بالمثل ، بل يُربى المسلم على كمال الأخلاق في الحرب ، حيث يجب عليه أن ينبذ إليهم عهدهم .
- تميز المسلم في أخلاقه الحربية ، فلا يستوي المسلم في أخلاقه الحربية مع غير المسلم ، فلا بد أن يكون قدوة وداعية إلى دين الله بأخلاقه ، وهذا الذي جعل الناس يدخلون في دين الله أفواجا .
- المنابذة تعني الإعلان الصريح للطرف الآخر ببدء الحرب معه ، ليكون على حد سواء معه في العلم بالإذن بالقتال ، وهي تدل على شجاعة المسلم وصدقه ، وثباته .
- يسر الإسلام وسماحته ومرونته ، فهو دين يربي أتباعه على الصدق والثبات وسمو الأخلاق ، ولكنه دين من رب العالمين ، لا يدع المسلم في حيرة من أمره وفي مفترق طرق ، بين حرصه على الوفاء بالعهد والميثاق ، وبين توجسه وخوفه من عدو يتربص به الدوائر، تظهر منه بوادر الغدر والخيانة ؛ فإنما كان العهد والميثاق من أجل أن تحفظ الدماء والأعراض ، وأن يأمن الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ، فإذا شاهدوا أو سمعوا عن تحركات ومحاولات العدو ، لم يعد الناس على شيء من الهدوء النفسي والاطمئنان القلبي على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، فحينئذٍ جعل الله المنابذة لهم مخرجا ، لينبذوا إلى العدو عهدهم ليعلم إنما هم وإياه على حرب ، فليأخذ حذره ، كما يأخذون هم حذرهم منه ، وهذه قمة أخلاقيات الحرب التي جاء بها الإسلام ، وربى عليها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه ، وسطرتها كتب السيرة النبوية.

---

[٥١] ـ سورة التوبة ، آية ٧ .

- **نماذج من أخلاقه - صلى الله عليه وسلم - في منابذاته** :

إن المتأمل في سيرته - صلى الله عليه وسلم - وتحديداً في منابذاته يجد فيها العديد من النماذج التربوية والأخلاق والشمائل المتميزة ومنها :

- خلق المنابذة لا يعني مباغتة العدو بطلب النقض ، ونبذ عهدهم إليهم ، بل إعطاءهم الفترة الكافية للتفكير في إتباع الإسلام ، أو إعطاء الجزية ، أو الحرب ، لأن العدو منع انتشار دين الله في الأرض ، وكل هذا لمن ظهر منه بوادر الغدر والخيانة،أما من وفى فيجب له الوفاء إلى نهاية مدة عهده .
- خلق المنابذة يُمكن للمسلم حين ينبذ إلى العدو عهدهم أن يتخير من أساليب الحرب ما شاء ، حيث يصح له مخادعتهم ، ومباغتتهم ، وأن يبيتهم متى شاء ، فقد صاروا أهل حرب ولم يصبح على المسلم لومٌ في أعين العقلاء ولا الأعراف الدولية .
- المنابذة خلق حربي نبيل ، وعمل إسلامي أصيل ، لم يعرف إلا عن طريق الإسلام ، فقد جرت عادة الحرب أن تتم العهود والمواثيق ، فإذا ظهر من طرف بوادر الغدر والخيانة ، قابله الطرف المقابل بالمثل ، ولكن يأبى الإسلام إلا رفعة في التعامل الحربي وسموا في الخلق ، ليقدم خلق المنابذة ليبهر به الأعداء الذين أسلم كثير منهم بعد عام الفتح ، وبعد أن أعلن فيهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه المنابذة في الحج ، فالإسلام لا يأخذ الطرف الآخر غرة ، بالإعتماد على العهد والميثاق ، يقول الله تعالى : ((وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الخَائِنِينَ))[٥٢]

- **المبحث الثالث:أخلاقيات الحرب في معاملة الرسول- صلى الله عليه وسلم- للأسرى** .

الأسر أمر عرف في تاريخ الحروب قبل الإسلام وبعده ، وعند العرب والعجم ولم يأت الإسلام بجديد في أمر الأسير إلا في مجال سمو الأخلاق الحربية وحسن معاملة الأسير ، وتحديد مفهوم الأسير ، وذلك وفق منهجية واضحة للجندي المسلم يضعها الإسلام أمام عينيه أمرا تعبديا ، لا يصح له أن يتجاوزه ، أو يختار عنه ، فمعاملة الأسير في الإسلام تعد عبادة لله عز وجل يثاب أو يعاقب عليها يجب عليه الامتثال فيها لأمر الله ، وأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولذا جاء الإسلام بأخلاقيات في معاملة الأسير لم يعرف لها التأريخ مثيلا ، نقف على جانب منها في هذا المبحث ، مع شيء من الاختصار للحاجة إلى الاختصار في هذا البحث ، إلا أن الموضوع بمفرده بحاجة إلى بحث مستقل ، لاسيما في ظل الإساءة إلى الأسرى في الحروب المعاصرة ، وسوف نتناول بعضا من هذه الأخلاقيات ، بعد الوقوف على تعريف الأسير ومشروعية الأسر في الإسلام .

- **تعريف الأسير** :

في اللغة : " الأسر : الشد بالقيد من قولهم : أسرت القتب وسمى الأسير بذلك ، ثم قيل لكل مأخوذ ومقيد وإن لم يكن مشدودا ذلك ، وقيل في جمعه أسارى ، و أسارى ، وأسرى."[٥٣]

---

[٥٢] - سورة الأنفال ، آية ٥٨ .

[٥٣] - الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، ط٢ ، ١٤١٨هـ ، ص ٧٦ .

وفي الاصطلاح : " الْأَسْرَى : هم الرجال الْمُقَاتِلُونَ مِنْ الْكُفَّارِ إذَا ظَفَرَ الْمُسْلِمُونَ بِأَسْرِهِمْ أَحْيَاءَ " [٥٤]

- **مشروعية الأسر في الإسلام** :

يعلم من تعريف الأسير أن المراد به الرجل المقاتل من الكفار ، إذا ظفر به المسلمون حيا ، فيخرج من هذا التعريف نساء وأطفال الكفار فهؤلاء لا يسمون أسارى ، ويخرج المسلم إذا تقاتلت فئتين من المسلمين ، ويخرج المقاتل الكافر إذا أسلم قبل أن يقدر عليه المسلمون ، فهؤلاء جميعا يخرجون من تعريف الأسير .

ولذا دلت النصوص على جواز الأسر مرتبطاً بأخلاقيات الحرب ، من ذلك قوله تعالى : ((فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ))[٥٥]

حيث جاء في هذه الآية مشروعية الأسر مع وضع التخيير للوالي المسلم بين قبول الفداء من الأسرى ، أو المن عليهم دون فداء ، أو قتلهم وكل ذلك فعله النبي . صلى الله عليه وسلم . مع أسرى بدر ، فمنهم من منَّ عليه ، ومنهم من أخذ منه أو من أوليائه الفداء ، ومنهم من قتله لشدة عداوته وأذيته للمسلمين ، ولذا عاتبه ربه . صلى الله عليه وسلم . أن يكون هذا تعامله مع الأسرى من أول معركة مع الكفار ، حيث نزل قول الله تعالى : ((مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ))[٥٦]

لكن الرحمة المهداة تغلبه صفة الرحمة والإنسانية في التعامل مع الأسير حتى يأتي القرآن مؤيدا لهذا الخلق فيما بعد ، ومبينا عظيم أجر معاملة الأسير والإحسان إليه ، حيث يجعل الله حسن معاملة الأسير صفة من صفات عباده الأبرار ، وذلك حينما عدد صفاتهم في سورة الإنسان ، حيث قال تعالى : ((إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا))[٥٧]

- **نماذج من أخلاقه - صلى الله عليه وسلم - في معاملة الأسرى** :

لقد ضرب النبي . صلى الله عليه وسلم . أروع الأمثلة في تعامله مع الأسرى نقف على جوانب من أبرز هذه الأخلاقيات :

---

[٥٤] - الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ج١ ، ص ٢٥١ .
[٥٥] - سورة محمد ، آية ٤ .
[٥٦] - سورة الأنفال ، آية ٦٧-٦٩ .
[٥٧] - سورة الإنسان ، آية ٥-٩ .

• **حوار الأسير وإقناعه** :

إن من أبرز أخلاقيات معاملة الأسير في السيرة النبوية فتح باب الحوار معه وإقناعه بسبب أسره ، فضلا عن إكرامه والإحسان إليه في المعاملة ، ولم يقتصر هذا الخلق مع سادة القوم من الأسرى ، بل ذلك خلق نبوي مع جميع الأسرى ويمكن أن نقف على جوانب من هذا الخلق في الحادثتين التاليتين :

جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ فجاءَتْ برَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفةَ يُقالُ لَهُ : ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ سَيِّدُ أَهْلِ الْيَمَامَةِ فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ . صَلَّى اللهُ عليه وسلم . فقالَ : مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةَ ، فقالَ : عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ ، فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . حَتَّى كانَ بَعْدَ الْغَدِ فقالَ : مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةَ قالَ : مَا قلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللهِ . صلى اللهُ عليه وسلم . حَتَّى كانَ مِنَ الْغَدِ فقال : مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةَ فقالَ : عِنْدِي مَا قلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ وَإِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ فقالَ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . : أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فقالَ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، يَا مُحَمَّدُ : وَاللهِ مَا كانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ ، فقدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كلِّهَا إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ ، وَاللَّهِ مَا كانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كلِّهَا إِلَيَّ ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ . صلى اللهُ عليه وسلم . وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ فَلَمَّا قدِمَ مَكَّةَ قالَ لَهُ قائِلٌ : أَصَبَوْتَ فقالَ : لا وَلَكِنِّي أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . ، وَلا وَاللهِ لا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ . صلى الله عليه وسلم .."[٥٨]

وجاء عند مسلم أيضاً من حديث عمران بن حصين قال : " كَانَتْ ثَقِيفُ حُلَفَاءَ لِبَنِي عُقَيْلٍ ، فأَسَرَتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . وَأَسَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . رَجُلًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعَضْبَاءَ فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . وَهُوَ فِي الْوَثَاقِ قالَ : يَا مُحَمَّدُ فَأَتَاهُ ، فقالَ : مَا شَأْنُكَ ، فقالَ : بِمَ أَخَذْتَنِي ، وَبِمَ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ ، فقالَ : إِعْظَامًا لِذَلِكَ أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَنَادَاهُ ، فقالَ : يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . رَحِيمًا رَقِيقًا فَرَجَعَ إِلَيْهِ ، فقال : مَا شَأْنُكَ قال : إِنِّي مُسْلِمٌ ، قالَ :

[٥٨] - مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، كتاب : الجهاد والسير ، باب : ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه

لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَادَاهُ فَقَالَ : يَامُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : مَا شَأْنُكَ ، قَالَ : إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي وَظَمْآنُ فَأَسْقِنِي ، قَالَ هَذِهِ حَاجَتُكَ فَفُدِيَ بِالرَّجُلَيْنِ "٥٩

تتجلى في الحادثتين السابقتين أخلاقيات معاملة الأسير التي كان يربي عليها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه ، في صبره على الأسير والإحسان إليه ، والاستماع إليه مرات عديدة ، وإقناعه بسبب أسره ، وإعطائه حاجته ، بل وإطلاق سراحه ، كما فعل مع ثمامة بن أثال ، الأمر الذي دعاه إلى الإسلام لما رأى من حسن المعاملة وكريم الخصال ، ما لم يعرفه طيلة تعامله في الحروب وهو رجل حرب كما هي عادة العرب في الجاهلية .

والناظر لواقع الحال في عصرنا الحاضر يجد النقيض تماماً لأخلاقيات الإسلام تلك ، حيث أن الأسير يقابل بغلظة شديدة ، تنتهك إنسانيته وكرامته قد يصل الأمر إلى قتله تعذيبا كما حدث في معتقل جوانتانامو ، وقد يصل إلى الاعتداء الجنسي والإهانة كما حدث أخيرا في سجن أبو غريب بالعراق .

- **الوصية بالأسير** :

من الأخلاقيات العجيبة التي تجلت في معاملة الأسير في السيرة النبوية ماجاء في وصية النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالأسرى وحسن معاملتهم والإحسان إليهم ، وندب الناس إلى ذلك ، ومن هذه الوصايا وصيته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأسارى بدر بعد أن مكنه الله من رقاب صناديد قريش ، في أول معركة مع الكفر ، ومع ذلك تتجلى رحمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحسن خلقه ، فبعد أن وزع الأسرى بين الأنصار ، أوصاهم بالأسرى يقول ابن إسحاق : " حدثني نبيه بن وهب أخو بن عبد الدار أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين أقبل بالأسارى فرقهم بين أصحابه وقال : (استوصوا بالأسارى خيرا) قال : وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمر لأبيه وأمه في الأسارى قال : فقال أبو عزيز : مر بي أخي مصعب بن عمير ، ورجل من الأنصار يأسرني فقال : شد يديك به فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك، قال : وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر ، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إياهم بنا ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها ، قال : فأستحيي فأردها على أحدهما فيردها علي ما يمسها "٦٠.

إن الوصية بالأسرى تنبع منها حكم عظيمة ، وجوانب تربوية عجيبة فالأسير إنما أسر في أرض المعركة ، وقد يكون ممن قتل في صفوف المسلمين وسيفه لا زال يقطر دما من جراح المسلمين ، ولذا فالغيظ يملأ النفوس عليه ولذا جاءت هذه الوصية لعلاج ما في النفوس من غيظ قد يؤدي إلى الانتقام منه

---

٥٩ ـ المرجع السابق ، كتاب : النذر ، باب : لا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ.

٦٠ ـ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص ٢٠٣ .

وأذيته ، بل ويرتب على حسن معاملة الأسير الأجر الكبير من الله ، ليحل الإحسان محل الانتقام ، والرأفة بدل الحنق والغيظ ، إنها أخلاق الحرب في السيرة النبوية التي تتجلى فيها جوانب الرحمة والسماحة واللطف ، فأين هذا من جرائم الحرب اليوم ؟ ، ومعاملة الأسير بل سائر الناس الذين لا ذنب لهم بأبشع وأسوأ أنواع المعاملة .

- **كسوة الأسير ورفع معنوياته** :

إن إحسان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الأسير لم يقف عند إعطائه الطعام والشراب ، بل تعدى ذلك إلى كسوته ورفع معنوياته خصوصا من الذل الذي وقع فيه ، جاء في البخاري ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : " لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ أُتِيَ بِأُسَارَى ، وَأُتِيَ بِالْعَبَّاسِ وَلَمْ يَكْنْ عَلَيْهِ ثَوْبٌ ، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ لَهُ قَمِيصًا فَوَجَدُوا قَمِيصَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍ يَقْدُرُ عَلَيْهِ فَكَسَاهُ النَّبِيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ إِيَّاهُ فَلِذَلِكَ نَزَعَ النَّبِيُّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ قَمِيصَهُ الَّذِي أَلْبَسَهُ.

قَالَ :ابْنُ عُيَيْنَةَ كَانَتْ لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَدٌ فَأَحَبَّ أَنْ يُكَافِئَهُ"[٦١]

وكذلك فعل مع السَفَّانة بنت حاتم الطائي ، حينما جيء بها أسيرة ، حيث يذكر عدي بن حاتم قصة أسرها ، فيقول: " مَا مِنْ رَجُلٍ مِنْ الْعَرَبِ كَانَ أَشَدَّ كَرَاهِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ حِينَ سَمِعَ بِهِ مِنِّي ، أَمَا أَنَا فَكُنْت امْرَأً شَرِيفًا ، وَكُنْتُ نَصْرَانِيًّا ، وَكُنْت أَسِيرُ فِي قَوْمِي بِالْمِرْبَاعِ فَكُنْتُ فِي نَفْسِي عَلَى دِينٍ وَكُنْت مَلِكًا فِي قَوْمِي ، لِمَا كَانَ يُصْنَعُ بِي . فَلَمَّا سَمِعْت بِرَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ كَرِهْته ، فَقُلْتُ لِغُلَامٍ كَانَ لِي عَرَبِيٍّ وَكَانَ رَاعِيًا لِإِبِلِي : لَا أَبَا لَك ، أَعْدِدْ لِي مِنْ إبِلِي أَجْمَالًا ذُلُلًا سِمَانًا ، فَاحْتَبِسْهَا قَرِيبًا مِنِّي ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِجَيْشٍ لِمُحَمَّدٍ قَدْ وَطِئَ هَذِهِ الْبِلَادَ فَآذِنِّي ؛ فَفَعَلَ ثُمَّ إنَّهُ أَتَانِي ذَاتَ غَدَاةٍ فَقَالَ يَا عَدِيَّ ، مَا كُنْتَ صَانِعًا إذَا غَشِيَتْك خَيْلُ مُحَمَّدٍ فَاصْنَعْهُ الْآنَ فَإِنِّي قَدْ رَأَيْت رَايَاتٍ فَسَأَلْت عَنْهَا ، فَقَالُوا : هَذِهِ جُيُوشُ مُحَمَّدٍ . قَالَ فَقُلت : فَقَرِّبْ إلَيَّ أَجْمَالِي فَقَرَّبَهَا ، فَاحْتَمَلْت بِأَهْلِي وَوَلَدِي ، ثُمَّ قُلت : أَلْحَقُ بِأَهْلِ دِينِي مِنْ النَّصَارَى بِالشَّامِ ، وَخَلَفْت بِنْتًا لِحَاتِمٍ فِي الْحَاضِرِ فَلَمَّا قَدِمْت الشَّامَ أَقَمْتُ بِهَا ، وَتُخَالِفُنِي خَيْلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَتُصِيبُ ابْنَةَ حَاتِمٍ فِيمَنْ أَصَابَتْ فَقَدِمَ بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فِي سَبَايَا مِنْ طَيِّئٍ وَقَدْ بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ هَرَبِي إلَى الشَّامِ ، قَالَ فَجُعِلَتْ بِنْتُ حَاتِمٍ فِي حَظِيرَةٍ بِبَابِ الْمَسْجِدِ كَانَتْ السَّبَايَا يُحْبَسْنَ فِيهَا ، فَمَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَقَامَتْ إلَيْهِ وَكَانَتْ امْرَأَةً جَزْلَةً فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَ الْوَالِدُ وَغَابَ الْوَافِدُ فَامْنُنْ عَلَيَّ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْك . قَالَ وَمَنْ وَافِدُك ؟ قَالَتْ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ . قَالَ الْفَارُّ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؟ قَالَتْ ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَتَرَكَنِي

[٦١] ـ محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب : الجهاد والسير ، بَاب : الكسوة للأسارى .

حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ الْغَدِ مَرّ بِي ، فَقُلْت لَهُ مِثْل ذَلِكَ وَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ بِالْأَمْسِ . قالتْ حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْدَ الْغَدِ مَرّ بِي وَقَدْ يَئِسْت مِنْهُ فَأَشَارَ إِلَيّ رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ قُومِي فَكلّمِيهِ قالتْ فَقمْت إلَيْهِ فقلت : يَا رَسُولَ اللّهِ هَلَك الْوَالِدُ وَغَابَ الْوَافِدُ فامْنُنْ عَلَيّ مَنّ اللّهُ عَلَيْك ؛ فقالَ . صلى الله عليه وسلم . قدْ فعلْتُ فلا تَعْجَلِي بِخُرُوجٍ حَتَّى تَجِدِي مِنْ قَوْمِك مَنْ يَكونُ لَك ثِقَةً حَتّى يُبَلّغُك إلى بِلادِك ، ثُمّ آذِنِينِي . فَسَأَلْت عَنْ الرّجُل الّذِي أَشَارَ إلَيّ أَنْ أكلّمَهُ فَقِيلَ عَلِيّ بْنُ أَبِي طالِبٍ رِضْوَانُ اللّهِ عَلَيْهِ وَأَقمْت حَتَّى قدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَلِيّ أَوْ قضَاعَة ، قالتْ وَإِنّمَا أُرِيدُ أَنْ آتِيَ أَخِي بِالشّامِ . قالتْ فَجِئْت رَسُولَ اللّهِ . صلى الله عليه وسلم . فقلتَ : يَا رَسُولَ اللّهِ قدْ قدِمَ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِي ، لِي فِيهِمْ ثِقَةٌ وَبَلَاغٌ . قالتْ فكسَانِي رَسُولُ اللّهِ . صلى الله عليه وسلم . وَحَمَلَنِي ، وَأَعْطَانِي نَفَقَة فخَرَجْت مَعَهُمْ حَتّى قدِمْت الشّامَ "٦٢

ولنتأمل هذه الأخلاقيات التي يقف الإنسان أمامها اليوم مندهشاً ، والتي ترفع من معنويات الأسير وتستنقذه من ذل الأسر ، وتحسن إليه ، بل وتحفظ عرضه ، فهاهو رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ، يخشى على ابنة حاتم الطريق فلا يأذن لها بالخروج إلا مع ثقة ، ويعطيها كسوة ونفقة ، وبالمقابل كم من الأعراض تنتهك في عصرنا بمجرد دخول المنتصر إلى مدينة من المدن ، إنها أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية وكفى .

- **المن على الأسير** :

إطلاق الأسير من غير فداء ، هو المنُّ عليه والإنعام إليه ، ولا شك أن إطلاق الأسير من غير عوض يعد منًّا ؛ لأنه نعمة تسدى إليه تمنحه الحياة ، وتستنقذه من الرق ، وتعيد إليه حريته ، يقول الله تعالى : ((فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ))٦٣

وكان نظام التعامل مع الأسير يتم بناءً على المصلحة العامة لدولة الإسلام وحال ذلك الأسير ، فلقد منَّ الرسول . صلى الله عليه وسلم . على أبي العاص زوج ابنته زينب يوم بدر ، ومنَّ على السائب بن عبيد ، وعبيد بن عمرو بن علقمه لعدم وجود مال لديهم ، ولم يكن لهم من أحدٍ يفديهم ، ومنَّه على ثمامة بن أثال ، سيد قومه رغبةً في إسلامه كما تقدم ، ومن ذلك منِّه يوم صلح الحديبية على السبعين رجلا الذين أرادوا غرته فأسرهم ثم منَّ عليهم ، جاء في صحيح مسلم عن إياس بن سلمه عن أبيه قال : " إِنَّ الْمُشْرِكِينَ رَاسَلُونَا الصُّلْحَ حَتَّى مَشَى بَعْضُنَا فِي بَعْضٍ وَاصْطَلَحْنَا قَالَ وَكُنْتُ تَبِيعًا لِطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَسْقِي فَرَسَهُ وَأَحُسُّهُ وَأَخْدِمُهُ وَآكُلُ مِنْ طَعَامِهِ وَتَرَكْتُ أَهْلِي وَمَالِي مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ

---

٦٢ - ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٢ ، ص ٥٧٨-٥٧٩ .
٦٣ - سورة محمد ، آية ٤ .

ـ صلى الله عليه وسلم . قَالَ فَلَمَّا اصْطَلَحْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّةَ وَاخْتَلَطَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ أَتَيْتُ شَجَرَةً فَكَسَحْتُ شَوْكَهَا فَاضْطَجَعْتُ فِي أَصْلِهَا قَالَ فَأَتَانِي أَرْبَعَةٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَجَعَلُوا يَقَعُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . فَأَبْغَضْتُهُمْ فَتَحَوَّلْتُ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى وَعَلَّقُوا سِلَاحَهُمْ وَاضْطَجَعُوا فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي يَا لَلْمُهَاجِرِينَ قُتِلَ ابْنُ زُنَيْمٍ قَالَ فَاخْتَرَطْتُ سَيْفِي ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَى أُولَئِكَ الْأَرْبَعَةِ وَهُمْ رُقُودٌ فَأَخَذْتُ سِلَاحَهُمْ فَجَعَلْتُهُ ضِغْثًا فِي يَدِي قَالَ ثُمَّ قُلْتُ وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ لَا يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إِلَّا ضَرَبْتُ الَّذِي فِيهِ عَيْنَاهُ قَالَ ثُمَّ جِئْتُ بِهِمْ أَسُوقُهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . قَالَ وَجَاءَ عَمِّي عَامِرٌ بِرَجُلٍ مِنْ الْعَبَلَاتِ يُقَالُ لَهُ مِكْرَزٌ يَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . عَلَى فَرَسٍ مُجَفَّفٍ فِي سَبْعِينَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . فَقَالَ دَعُوهُمْ يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ وَثِنَاهُ فَعَفَا عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . وَأَنْزَلَ اللَّهُ٦٤ ((وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا))٦٥

ومن أشهر مَنِّهِ . صلى الله عليه وسلم . على الأسرى ، ما فعله . صلى الله عليه وسلم . ، مع هوازن وثقيف برد سباياهم من النساء والذرية ، وفاءً للرضاعة التي كانت له . صلى الله عليه وسلم . فيهم ، فقد جاء عند أبي داود : " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . قَالَ حِينَ جَاءَهُ وَفْدُ هَوَازِنَ مُسْلِمِينَ فَسَأَلُوهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَقَالَ : لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . : مَعِي مَنْ تَرَوْنَ وَأَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ فَاخْتَارُوا إِمَّا السَّبْيَ وَإِمَّا الْمَالَ فَقَالُوا : نَخْتَارُ سَبْيَنَا فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلَاءِ جَاءُوا تَائِبِينَ وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبْيَهُمْ فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيِّبَ ذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ فَقَالَ النَّاسُ : قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . : إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ فَرَجَعَ النَّاسُ وَكَلَّمَهُمْ عُرَفَاؤُهُمْ فَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا "٦٦

ولا شك أن مَنِّه . صلى الله عليه وسلم . على الأسير وإعادته للحرية ، كان له أكبر الأثر في حياة هؤلاء الأسارى ، حيث أسلم منهم عدد كبير ، وأصبحوا في صفوف المسلمين ، ذابين ومدافعين عن حمى الإسلام بعد أن كانوا أعداء له ومحاربين للمسلمين ، ولاشك أن الذي جعلهم كذلك هو تأثرهم بهذا الخلق الحربي النبيل ، كما هو حال ثمامة بن أثال رضي الله عنه وغيره ممن أسلم بعد أسره والمن عليه.

---

٦٤ ـ مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، كتاب : الجهاد والسير ، بَاب : غَزْوَةِ ذِي قَرَدٍ وَغَيْرِهَا .

٦٥ ـ سورة الفتح ، آية ٢٤ .

٦٦ ـ أبو داود سليمان بن الأشعث ، سنن أبي داود ، كتاب : الجهاد ، باب : فِي فداء الأسير بالمال .

• **فـداء الأسيـر** :

كان يتم فداء الأسرى بناءً على حاجة المسلمين القائمة في ذلك الوقت وهو الأمـر الـذي حصل مـع أسـارى بـدر ، حيـث أخـذ مـن بعضهم المال ، وطلـب مـن بعضهم أداء أعمال مقابل فدائهم ، كما فعل مع الذين يجيدون القراءة والكتابة أن يعلم كل واحد منهم عددا من أبناء المسلمين مقابل فدائه من الأسر ، جاء عند الإمام أحمد : " عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ نَاسٌ مِنْ الْأُسَرَى يَوْمَ بَدْرٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِدَاءٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلَادَ الْأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ قَالَ فَجَاءَ يَوْمًا غُلَامٌ يَبْكِي إِلَى أَبِيهِ فَقَالَ مَا شَأْنُكَ قَالَ ضَرَبَنِي مُعَلِّمِي قَالَ الْخَبِيثُ يَطْلُبُ بِذَحْلِ[٦٧] بَدْرٍ وَاللَّهِ لَا تَأْتِيهِ أَبَدًا "[٦٨]

ولا شك أن هذا الخلق العظيم قد فتح قلوب كثير منهم للإسلام ، فأسلم رغبة لا رهبة ، وقناعة لا إكراه ، لما رأى من خصال السجايا وكريم الأخلاق الحربية ، التي لم يعرف لها التأريخ مثيلا ، فضلا عن الاستفادة من الفداء في نفع المسلمين في ذلك الوقت ، وسد حاجتهم القائمة للمال والتعليم .

• **قتـل الأسيـر** :

قتل الرسول . صلى الله عليه وسلم . شرار الأسرى ، ممن كان له أذية سابقة على المسلمين ، سواء بلسان ، أو بغدر وخيانة وخداع ، ولذا كانت الحالات التي قتل فيها الرسول . صلى الله عليه وسلم . الأسرى معدودة ، مع أن القرآن عاتبه . صلى الله عليه وسلم . في عدم الإثخان في الأرض ، لكن الرحمة المهداة غلبه جانب الخلق الكريم ورحمته بالناس .

وممن جاء أنه قتلهم . صلى الله عليه وسلم . من الأسرى يوم بدر ، عقبة ابن أبي معيطٍ ، والنضر بن الحارث لشدة أذيتهم ومحاربتهم للدعوة إلى الله " وَكَانَ النَّضْرُ بْنُ الحَارِثِ مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ ، وَمِمَّنْ كَانَ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . ، وَيَنْصِبُ لَهُ العَدَاوَةَ وَكَانَ قَدْ قَدِمَ الحِيرَةَ ، وَتَعَلَّمَ بِهَا أَحَادِيثَ مُلُوكِ الفُرْسِ ، وَأَحَادِيثَ رُسْتُمَ وَاسِبِنْدِيار . فَكَانَ إِذَا جَلَسَ رَسُولُ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . مَجْلِسًا فَذَكَّرَ فِيهِ بِاللهِ وَحَذَّرَ قَوْمَهُ مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الأُمَمِ مِنْ نِقْمَةِ اللهِ خَلَفَهُ فِي مَجْلِسِهِ إِذَا قَامَ ثُمَّ قَالَ أَنَا وَاللهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْهُ فَهَلُمَّ إِلَيَّ فَأَنَا أُحَدِّثُكُمْ أَحْسَنَ مِنْ حَدِيثِهِ ثُمَّ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ مُلُوكِ فَارِسَ وَرُسْتُمَ واسبندیار ،ثُمَّ يَقُولُ بِمَاذَا مُحَمَّدٌ أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنِّي؟ "[٦٩]

" وعن أُبَيِّ بْنُ خَلَفِ بْنِ وَهْبِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحَ ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ وَكَانَا مُتَصَافِيَيْنِ حَسَّنَا مَا بَيْنَهُمَا . فَكَانَ عُقْبَةُ قَدْ جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . وَسَمِعَ مِنْهُ فَبَلَغَ ذَلِكَ أُبَيًّا ، فَأَتَى عُقْبَةَ فَقَالَ لَهُ : أَلَمْ يَبْلُغْنِي أَنَّكَ جَالَسْتَ مُحَمَّدًا وَسَمِعْتَ مِنْهُ وَجْهِي مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ أَنْ أَكَلِّمَكَ -

---

[٦٧] - بِذَحْلِ : بثأر .

[٦٨] - أحمد بن حنبل ، المسند ، بداية مسند عبد الله بن عباس .

[٦٩] - ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص ٣٠٠ .

وَاسْتَغْلَظَ مِنْ الْيَمِينِ . إنْ أَنْتَ جَلَسْتَ إلَيْهِ أَوْ سَمِعْتَ مِنْهُ أَوْ لَمْ تَأْتِهِ فَتَتْفُلَ فِي وَجْهِهِ . ففعَلَ ذَلِك عَدُوّ اللّهِ عُقبَةَ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ لعَنَهُ اللّهُ."٧٠

ولذا قتلهما رسول الله . صلى الله عليه وسلم . بعد بدر ، ولما يصل المدينة بعد يقول ابن هشام : " قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : حَتّى إذَا كَانَ رَسُولُ اللّهِ . صلى الله عليه وسلم . بالصّفْرَاءِ قَتَلَ النّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ قَتَلَهُ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، كَمَا أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ مَكّةَ . قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : ثُمّ خَرَجَ حَتّى إذَا كَانَ بِعِرْقِ الظّبْيَةِ قَتَلَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ ."٧١

وقتل رسول الله . صلى الله عليه وسلم . أبي عزة الجمحي الشاعر يوم أحد بعد أن مَنَّ الله عليه بالفكاك من الأسر يوم بدر لكثرة بناته ، بعد أن أخذ عليه العهد أن لا يقاتل ضد المسلمين مرة أخرى ، لكن نقض العهد وقاتل مع قريش يوم أحدٍ وأسره المسلمون يقول ابن هشام : " وَأَبُو عَزّةَ الْجُمَحِيّ وكَانَ رَسُولُ اللّهِ . صلى اللّهِ عليه وسلم . أسَرَهُ بِبَدْرٍ ثُمّ مَنّ عَلَيْهِ فقالَ يَا رَسُولَ اللّهِ أَقِلْنِي ، فقالَ رَسُولُ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . وَاللّهِ لا تَمْسَحُ عَارِضَيْكَ بِمَكّةَ بَعْدَهَا وتَقُولُ : خَدَعْتُ مُحَمّدًا مَرّتَيْنِ اضْرِبْ عُنُقَهُ يَا زُبَيْرُ . فضَرَبَ عُنُقَهُ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَبَلَغَنِي عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيّبِ أَنّهُ قَالَ : قَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ . صلى الله عليه وسلم . : إنّ الْمُؤْمِنَ لا يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرّتَيْنِ اضْرِبْ عُنُقَهُ يَا عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ فضَرَبَ عُنُقَهُ."٧٢

ولاشك أن قتل مثل هؤلاء الأشرار ، والغدرة الخونة أمر تقره العقول وقوانين الحرب قديما وحديثا ، ولم يكن مستغربا من نبي الرحمة . صلى الله عليه وسلم . فتاريخ هؤلاء يستحق المقابلة بالقتل ، ليحصل التوازن المطلوب في تعامل المسلم فلا يطغى جانب على جانب آخر ، فلا تطغى رحمته وإنسانيته على شدته وبأسه وإخافته أعدائه ، ولا يطغى جانب الشدة والإثخان في الأرض على الرحمة وحسن الخلق .

- **استرقاق الأسير** :

كان استرقاق الأسير نادراً في معاملة النبي . صلى الله عليه وسلم . للأسرى وكان مع ندرته يقابله النبي . صلى الله عليه وسلم . بالحث والندب إلى إعتاق الرقيق ، رغبة منه في تحرير هؤلاء من الرق ، وتخليصهم من العبودية حيث كان من حكم الكفارات في الإسلام علاج قضية الرق .

ومع ذلك فإن استرقاق الأسرى كان أمراً مشروعاً دل عليه فعله . صلى الله عليه وسلم . مع أسارى بني عبد المصطلق ، إلا أنه كان يقابل هذا بأفعال وأقوال تحث المسلمين على عتق الرقاب ، وتحرير العبيد الذين وقعوا في الرق ، ولذا كان زواجه من جويرية بنت الحارث ، وهي إحدى سبي بني المصطلق سببا في عتق أهل مائة بيت من قومها وقعوا في الأسر ؛ لأنهم أصبحوا أصهار رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ، وذلك بمجرد بنائه بزوجه جويرية بنت الحارث ، دون أن يكلمهم أو يحثهم إلى فعل ذلك ، جاء عند ابن هشام : " قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : بَلَغَ رَسُولَ اللّهِ

---

٧٠ - المرجع السابق ، ج١ ، ص ٣٦١ .
٧١ - المرجع السابق ، ج١ ، ص ٦٤٤ .
٧٢ - المرجع السابق ، ج٢ ، ص ١٠٤ .

صلى الله عليه وسلم .أَنّ بَنِي الْمُصْطَلِقِ يَجْمَعُونَ لَهُ وَقَائِدُهُمْ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ أَبُو جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ ، زَوْجِ رَسُولِ اللّهِ . صلى الله عليه وسلم . فَلَمّا سَمِعَ رَسُولُ اللهِ . صلى الله عليه وسلم . بِهِمْ خَرَجَ إلَيْهِمْ حَتّى لَقِيَهُمْ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ الْمُرَيْسِيعُ ، مِنْ نَاحِيَةِ قَدِيدٍ إلَى السّاحِلِ فَتَزَاحَفَ النّاسُ وَاقْتَتَلُوا ، فَهَزَمَ اللّهُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ وَنَفَلَ رَسُولُ اللّهِ . صلى الله عليه وسلم . أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَفَاءَهُمْ عَلَيْهِ[٧٣] ..... وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ . صلى الله عليه وسلم . قَدْ أَصَابَ مِنْهُمْ سَبْيًا كَثِيرًا ، فَشَا قَسْمُهُ فِي الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ فِيمَنْ أُصِيبَ يَوْمَئِذٍ مِنْ السّبَايَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ ، زَوْجُ رَسُولِ اللّهِ . صلى الله عليه وسلم .. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : وَحَدّثَنِي مُحَمّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزّبَيْرِ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ لَمّا قَسَمَ رَسُولُ اللّهِ . صلى الله عليه وسلم . سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشّمّاسِ أَوْ لِابْنِ عَمّ لَهُ فَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا ، وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلَاحَةً لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إلّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ فَأَتَتْ رَسُولَ اللّهِ . صلى الله عليه وسلم . تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا ؛ قَالَتْ عَائِشَةُ فَوَاَللّهِ مَا هُوَ . صلى الله عليه وسلم . مَا رَأَيْتُ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللّهِ أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ ، سَيّدِ قَوْمِهِ وَقَدْ أَصَابَنِي مِنْ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ ، فَوَقَعْتُ فِي السّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشّمّاسِ أَوْ لِابْنِ عَمّ لَهُ فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي ، فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِي قَالَ فَهَلْ لَكِ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكِ ؟ قَالَتْ وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللّهِ ؟ قَالَ أَقْضِي عَنْكِ كِتَابَتَكِ وَأَتَزَوّجُكِ ؛ قَالَتْ نَعَمْ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ قَدْ فَعَلْت . قَالَتْ وَخَرَجَ الْخَبَرُ إلَى النّاسِ أَنّ رَسُولَ اللّهِ . صلى الله عليه وسلم . قَدْ تَزَوّجَ جُوَيْرِيَةَ ابْنَةَ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ ، فَقَالَ النّاسُ أَصْهَارُ رَسُولِ اللّهِ . صلى الله عليه وسلم . وَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ فَّالَتْ فَلَقَدْ أَعْتَقَ بِتَزْوِيجِهِ إيّاهَا مِئَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ عَلَى قَوْمِهَا بَرَكَةً مِنْهَا"[٧٤]

ومما جاء في حثه . صلى الله عليه وسلم . وندبه إلى عتق الرقاب : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . قَالَ : مَنْ أَعْتَقَ شِرْكًا لَهُ فِي عَبْدٍ فَكَانَ لَهُ مَالٌ يَبْلُغُ ثَمَنَ الْعَبْدِ قُوِّمَ الْعَبْدُ عَلَيْهِ قِيمَةَ عَدْلٍ فَأَعْطَى شُرَكَاءَهُ حِصَصَهُمْ وَعَتَقَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ وَإِلَّا فَقَدْ عَتَقَ مِنْهُ مَا عَتَقَ "[٧٥]

- **الخاتمة ونتائج البحث** :

لقد ظهر جليا للمتأمل في أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية روعة وسمو الأخلاق الإسلامية ، والتي تمثل مبادئ يلتزم المسلم بالعيش في كنفها سلما وحربا ، فالمسلم لا يتجرد من أخلاقه التي رباه الإسلام عليها ، في لحظات الحرب والتي تمثل أعلى درجات التجرد من الحب والقرب من العدو ، فهو ملزم حتى في هذه اللحظة التي يملؤها الحنق والغيظ ، بأن يلتزم بأخلاقيات الحرب ، والتي لم تعرفها البشرية ولن تعرفها إلا بسيادة الإسلام ، وتعلم أخلاقياته ، والتي جعلت الناس يدخلون في دين الله أفواجا .

---

[٧٣] - ابن هشام ، السيرة ، ج٢ ، ص ٢٨٩.
[٧٤] - ابن هشام ، السيرة ، ج٢ ، ص ٢٩٤.
[٧٥] - محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب : العتق ، بَاب إِذَا أَعْتَقَ عَبْدًا بَيْنَ اثْنَيْنِ أَوْ أَمَةً بَيْنَ الشُّرَكَاءِ.

ويمكن أن نقف على بعض النتائج من هذا البحث ونقررها كالتالي :

- الحرب في الإسلام يحيطها سور عظيم من الأخلاقيات التي تنظم جوانبها سواء قبل المعركة أو أثناءها أو بعدها ، وتكون وسيلة في الحروب الإسلامية تفتح القلوب قبل الحصون .
- إن التهم التي توجه ضد الإسلام والمسلمين ويقودها بوق الإعلام الغربي وآليته ، بكون الإسلام دين سفك للدماء ، وتخريب ودمار ، لهو اتهام خال من الصحة ، بل نحن أمة الأخلاق سلما وحربا ، وبالتالي فإن أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية ، لهي خير رد على مثل هذه التهم .
- إن الحروب المعاصرة خلت من أدنى أخلاقيات الحرب ، واقترن اسم الحرب بخراب الديار ، وقتل الرجال ، وتدمير البيئة ، وإفساد البر والبحر ، ولذا فإن هذه الأخلاقيات نحن بأمس الحاجة إلى تعليمها وتقديمها من خلال كلياتنا العسكرية ، ولقاءاتنا الدولية ، وحواراتنا مع الغير ، لنوصل رسالة أخلاقيات الحرب في الإسلام إلى غيرنا .
- كما قيل : وبضدها تتميز الأشياء ، إن إبراز روعة أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية ، في ظل مشاهدة الناس لدمار الحرب المعاصرة ، وانعدام الأخلاق الحربية ، لهو من أهم نتائج هذه الدراسة التي تهدف إلى إبراز هذه الأخلاقيات ، وجعلها مقرر يدرس للجندي المسلم .

- **توصيات ومقترحات البحث** :

في نهاية هذا البحث يود الباحث أن يورد مجموعة من التوصيات التي يرى أنها متممة لهذا الموضوع والمتمثلة في التالي :

- إبراز أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية بلغات مختلفة ، ليعرف العالم كم هي عظمة الدين الإسلامي ، وحتى يتم معالجة بعض المفاهيم الخاطئة والتصورات المشوهة عن هذا الدين ، والتي شوهت صورته وجعلت الآخر ينظر إليه أنه دين الدموية ، ودين الوحشية والهمجية ، ولا شك أن إبراز مثل هذه الأخلاقيات هو مما يدحض هذه الشبهات ، ويبرز هذه الكنوز ويعرف بشخصية الرسول الكريم . صلى الله عليه وسلم ..
- أن تقوم المؤسسات العسكرية في العالم الإسلامي ، بإدخال هذه الأخلاقيات . في المعاهدات والمنابذات ومعاملة الأسرى وغيرها من أخلاقيات الحرب . كمقرر يدرس في الكليات العسكرية والحربية ، ليتربى الجندي المسلم على هذه الأخلاقيات ، وتصبح سلوكا يمارسة في تصرفاته ، وخلقا يتخلق به .
- أن تتبنى المؤسسات الاجتماعية والتربوية موسوعة باسم أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية ، يتم من خلاله التعريف بهذه الأخلاقيات وشرحها لتصبح مرجعا يمكن للباحثين الرجوع إليه في لحظة ، وفي كل مكان .
- إيجاد مواقع اليكترونية متخصصة في أخلاقيات الحرب العسكرية في الإسلام لنشر هذه الأخلاقيات وغيرها للناس ، يسهل عليهم معرفتها والاطلاع عليها في كل مكان ، وفي أي زمان ، وبشتى اللغات كجزء كم تبني مشروع نشر ثقافة أخلاقيات الحرب في الإسلام ، وكوسيلة لاستخدام التقنية لإيصال رسالتنا السامية للعالم .
- توجيه الباحثين من طلبة الماجستير والدكتوراه لتبني مشاريع بحثية متخصصة في جزئيات أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية ، لإخراج دراسات

تأصيلية تربوية ، تغطي جميع جوانب هذه الأخلاقيات في دراسات جادة وعميقة .

• مراجع البحث

١. القرآن الكريم .

٢. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، سنن أبي داود ، (د . ت) ، المكتبة الإسلامية استانبول .

٣. أحمد بن حنبل الشيباني ، المسند ، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١١هـ ، بيروت.

٤. إسماعيل بن كثير القرشي ، تفسير القرآن العظيم ، (د . ت) ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي .

٥. أكرم ضياء العمري ، السيرة النبوية الصحيحة ، ط٤ ، ١٤٢١هـ ، مكتبة العبيكان ، الرياض

٦. الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، ط٢ ، ١٤١٨هـ ، دار القلم ، دمشق .

٧. صالح بن علي الشمراني ، أخلاقيات الحرب فى السيرة النبوية ، بحث مقدم لرابطة العالم الإسلامي ، شعبان ١٤٢٨ - سبتمبر ٢٠٠٧ ..

٨. عبد الملك بن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، ط٣ ، ١٤٢١هـ دار إحياء التراث ، بيروت .

٩. علي محمد حبيب الماوردي ، الأحكام السلطانية ، (د . ت) ، دار الفكر للطباعة والنشر مصر .

١٠. غنيم غنيم عبد العظيم لواتي ، إرشاد البرية إلى أخلاقيات الحرب فى السيرة النبوية بحث مقدم لرابطة العالم الإسلامي ، شعبان ١٤٢٨ - سبتمبر ٢٠٠٧ .

١١. مالك بن أنس ، موطأ الإمام مالك ، ١٣٧٠هـ ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر .

١٢. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، بدائع التفسير ، دار ابن عفان ، القاهرة ، ١٤١٦هـ .

١٣. محمد بن أبي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، ط١ ، ١٩٦٧م ، دار الكتاب العربي

١٤. محمد بن أحمد الأزهري ، تهذيب اللغة ، تحقيق : علي حسن هلال ، ومحمد علي النجار (د . ت) ، الدار المصرية للتأليف .

١٥. محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، ط١ ، ١٤٠٧هـ ، دار القلم ، بيروت .

١٦. محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ١٤١٥هـ ، دار الفكر ، بيروت .

١٧. محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ .

١٨. محمد خلف أحمد وآخرون ، المعجم الوسيط ، ١٩٨٥م ، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

١٩. محمود توفيق سعد ، سبل الاستنباط من الكتاب والسنة ، دار ابن عفان ، القاهرة ، ١٤١٣هـ

٢٠. مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ١٤١٢هـ دار الحديث ، القاهرة.

****